# لماذا هذا الكتاب؟

قد يستغرب الكثير عنوان هذا الكتاب الذي يوحي بأنه دعوة للخروج من المدرسة وإلغائها، وأنني تلميذ في مدرسة إيفان إيليش الذي دعا في كتابه الشهير "مجتمع بلا مدارس" إلى تخليص المجتمعات البشرية من المدارس لأسباب عدة أهمهما أن التأثيرات السلبية للمدارس التقليدية التلقينية تحد من قدرات الفرد وإمكانياته الإبداعية، وقال ايليش بأن بعض النابغين في التعليم "يأتي نبوغهم على رغم من المدارس لا بسببها".

حسناً...أوافق إيفان إيليش على كثير مما ذكره في كتابه، خاصة فيما يتعلق بالتأثير السلبي للمدارس، خاصة منها تلك المدارس التلقينية التي هي أكثر المدارس انتشاراً في العالم، خاصة فيما يسمى العالم الثالث بما فيه عالمنا العربي، وإن كانت متفاوتة من بلد إلى آخر.

فقد أثبتت الدراسات أن الطفل مبدع بطبعه، وأن المجتمع والمدرسة يتحملان جزءاً كبيراً في سبيل تقويض هذا الإبداع، وهناك دراسة روسية حديثة تشير إلى

أن جميع الأطفال يملكون ملكة الإبداع، وأن٩٠٪ منهم يملكون إبداعاً خارقاً وذلك حتى سن الخامسة، ثم تنخفض هذه النسبة بسرعة إلى ١٠٪ في سن السابعة وما إنْ يصل الطفل إلى سن الثامنة حتى تنحدر موهبة الإبداع لديه إلى ٢٪ فقط.

فالتلقين في المدرسة يعنى بتعليم التلاميذ نتاج تفكير الآخرين أكثر من أن يفكروا هم بأنفسهم، كما أنه يحصر مجال تفكير الطفل في الحدود التي وضعها الكتاب المدرسي، فتتمثل في ذهن الطفل صورة مفادها أن هذه الحدود خطوط حمراء محرم تجاوزها، وبذلك يتقلص خيال الطفل وتضعف موهبته على الابتكار والإبداع. فيكبر الطفل، ويدخل مرحلة المراهقة والشباب وهو على هذه الحالة من الجمود الإبداعي والخيالي.

حتى إن بعض الدراسات تشير إلى أن معدلات الإبداع لدى أولئك الذين تخلفوا عن الدراسة تفوق أقرانهم ممن أتموا دراستهم، وذلك لأن الأخيرين حصروا فكرهم وتحصيلهم في مجال واحد دون غيره، الأمر الذي لم يطبق على من تخلف عن المدرسة؛ إذ تحرر هؤلاء من أغلب القيود الفكرية التي فرضت على من أتم دراسته.

وفي ذلك قال الشاعر آرثر غترمان:" الذي يتعلم بالبحث مهارته سبعة أضعاف من يتعلم بالأوامر".

إلا أن ذلك لا يعني أن من يترك المدرسة هو مبدع بالضرورة، بل حتى أولئك الذين ترتفع عندهم معدلات الإبداع قد لا يكونون مبدعين؛ لأن الإبداع ليس مجرد موهبة بل هو كما عرفه توماس أديسون:" ١٪ إلهام و٩٩٪ جهد وعرق".

فالإبداع ليس مجرد موهبة بل هو خليط من الموهبة والعمل والتوفيق من الله - سبحانه وتعالى.

وحري بالذكر أن إيفان إيليش ليس وحيداً في صف معارضة المدارس التقليدية، وهو ليس أول من دعا لهذا، بل تعود جذور هذه الدعوة إلى القرن الثامن عشر الميلادي وظهور حركة التنوير التي مثلها العلماء والفلاسفة العقلانيون، مثل المفكر الفرنسي الكبير جان جاك روسو الذي دعا إلى إغلاق المدارس التلقينية والعودة للتفكير الفطري الطبيعي الذي قاد البشرية قروناً طوالاً نحو التقدم والازدهار، واعتبر روسو أن المدارس التلقينية تقوّض مدى التخيل وتؤطره.

كما قال بذلك العالم النفسي التربوي د. و. جلاسر في كتابه "مدارس بلا فشل": "إنها المدرسة، والمدرسة وحدها، هي التي تسجل على الأطفال بطاقة الفشل". ويقول: "إن الطفل الذي كان يؤدي عمله بصورة مُرضية طوال خمس سنوات يكون على ثقة من أنه سيستمر كذلك في المدرسة، وهذه الثقة في تجربة كثير منا، ممن يعملون في المدارس، قد تضعف ولكنها تظل فعالة لمدة خمس سنوات أخرى تقريباً بصرف النظر من عدم كفاية تجربته المدرسية، ومع ذلك فإذا عانى من الفشل المدرسي إبان هذه السنوات الخمس (من سن الخامسة حتى العاشرة) فإنه حين يناهز العاشرة تنهار ثقته ويتحطم حافزه ويأخذ في التطابق مع الفشل".

ويقول د.طارق السويدان: "أنظمة التعليم علمتنا ألا نبدع".

ويقول د.فيل: "إن تعريف النجاح للصغار هو معرفة ما هم مبدعون فيه حقاً".

و يقول كين روبنسون -وهو استشاري كلفته الحكومة البريطانية عام ١٩٩٧ بإجراء دراسات عن الإبداع والاقتصاد والتعليم- في كتابه "صناعة العقل": "إن السبب الرئيس في هدر الطاقات أثناء فترة التعليم يكمن في العقلية الأكاديمية، التي تركز على تطوير الإمكانات المتعلقة بنواحٍ علمية معينة دون غيرها، وربط

مفهوم الذكاء بهذه المجالات حصراً، ما أدى إلى هدر كبير في المواهب والطاقات البشرية، وهذا ثمن باهظ لم يعد بالإمكان تحمله بعد الآن".

وقد نتساءل عن حقيقة هذه الادعاءات ومدى صحتها، خاصة أنها تتعارض مع واقعنا المشاهد، فلا يمكن أن ننكر أن الجامعات و"عقليتها الأكاديمية" سدّت حاجة المجتمعات من الأيادي العاملة والعقول المفكرة التي ساهمت في تنمية هذه المجتمعات وازدهارها، فلماذا إذن المطالبة بتغيير طرق التعليم ومفاهيمه؟

إن القول بأن الجامعات سدّت حاجة المجتمعات من الأيادي العاملة هو قول صحيح، لكن ليس بالطريقة التي نعتقدها.

ولإيضاح ما أصبو إليه، أورد هذه المعلومة:

" أثبتت الدراسات أن ٨٠٪ من خريجي الجامعات في الولايات المتحدة الأميركية يعملون في مجالات لا علاقة لها بتخصصاتهم، وذلك بعد ١٠ سنوات من تخرجهم".

ماذا يعني هذا؟

تعني هذه المعلومة عدة أمور، منها:

١- أن ٨٠٪ من مخصصات التعليم العالي في الولايات المتحدة تذهب هدراً.

٢- أن ٨٠٪ من الشباب الأميركي لا يعرفون حقيقة مواهبهم الفطرية.

٣- أن هناك ١٠ سنوات يضيعها خريجو الجامعات الأميركيون دون إظهار مواهبهم وملكاتهم الإبداعية.

إذا كان هذا يحدث في بلد "شديد التقدم" كالولايات المتحدة، فما هي الحال

بالنسبة لدول "شديدة التخلف" كأغلب الدول العربية؟ أترك الإجابة لك عزيزي القارئ.

هنالك خلل، ولا يستطيع عاقل أن ينكر ذلك، ولكن ما هو هذا الخلل؟ وما هو أنجع الحلول تجاهه؟

عرفت بريطانيا هذه الحقيقة في الربع الأخير من القرن العشرين، لذلك سارع البريطانيون للتوصل إلى حل لهذه المعضلة، وتوصلوا إلى أن تطوير التعليم هو الحل السحري لهذا الخلل، وقام الباحثون والتربويون بوضع منهج دراسي تطويري لكافة المدارس في بريطانيا، وتتلخص أسس هذا المنهج بالتركيز على تعليم القراءة والكتابة بشكل مكثف في جميع المدارس الابتدائية، وإلغاء مواد اعتبروها أقل أهمية، كالفنون والعلوم الإنسانية، وزادوا التركيز في البرامج الدراسية على المواد العلمية والتكنولوجية، وذلك استجابة لحاجة الاقتصاد إلى المزيد من العلماء والأخصائيين في هذا المجال، لذلك فرضت هذه المواد بشكل إجباري على جميع البرامج التعليمية في المدارس، إلا أن النتيجة جاءت مخالفة للتوقعات؛ فبعد عشر سنوات من التطبيق المكثف لهذا المنهج اتضح مايلي:

- ٢٠٪ من البالغين في بريطانيا، ويتجاوز عددهم سبعة ملايين، لديهم مشكلات حقيقية في القراءة والكتابة والتعامل مع الأرقام.
- ٣٦٪ من البالغين لم يتلقوا تعليماً منذ ثلاث سنوات، و٢٢٪ منهم لم يتلقوا أي تعليم منذ عشر سنوات، أي: منذ أن تركوا الدراسة الرسمية.
- ٥,٧ مليون شخص ممن هم في سن العمل لا يملكون أي مؤهلات.
- لا تزال مؤسسات التعليم من مدارس وجامعات تتبع أنظمة تحد من قدرة المدرسين على تطوير الطاقات الإبداعية لدى طلابها.

- زادت شكاوى الشركات من أن أنظمة التعليم لا تفي بمتطلباتها ولا بمتطلبات أساليب العمل الجديدة.

باختصار... ثبت في بريطانيا وغيرها من الدول أن تطوير التعليم ليس هو الحل، بل تغييره كلياً! فالأسس التي تقوم عليها نظم التعليم نظم قاصرة وُضعت لعصر معين وظروف معينة، لذلك لا تستطيع هذه النظم التجاوب مع التقدم العلمي والمعرفي الذي أخذ ينمو باطّراد بعد الحرب العالمية الثانية. وقد وعت كبرى الشركات هذه الحقيقة، ولم يعد بإمكانها الانتظار لمزيد من الوقت، عسى أن تقوم الحكومات والمؤسسات التعليمية بتلبية حاجاتها من الأيادي العاملة والعقول المبدعة، فأقامت هذه الشــركات جامعات خاصة بها تمنح خريجيها درجات علمية توافق متطلباتها، وأول من بادر بهذه الخطوة هي شركة "موتورولا" الأميركية، وتبعتها بذلك مئات الشركات حول العالم، منها شركة "ماريوت" وشركة Lloyds TsB.

ونعود هنا لكين روبنسون الذي يقول:"إن عملية رفع المستويات الدراسية في المدارس والجامعات لا يمكن أن تحل المشاكل التي نواجهها، بل على العكس فهي قد تؤدي إلى زيادة تعقيدها، لهذا علينا أن نعيد تقييم الأمور بشكل جديد، بحيث نفهم المعني الحقيقي للذكاء والإمكانات البشرية وأن نكوّن مفهوماً جديداً عن الإبداع، فالفكر البشري أغنى وأكثر قدرة ونشاطاً مما جعلتنا أنظمة التعليم نعتقد".

ويقول:" فنحن جميعاً نملك إمكانات وطاقات نظرية، ولكن بشكل يختلف من شخص لآخر، ولا يوجد أشخاص أذكياء وآخرون غير أذكياء، بل تختلف أشكال هذا الذكاء ومجالاته باختلاف الأشخاص والقدرات، فبعض الناس يتمتع بنظر حاد أو سمع قوي أو بحركة نشيطة أو بتفكير حسابي.. إلخ، ومع ذلك فما يزال

ينظر إلى الدراسة الأكاديمية على أنها مقتصرة على فئة محددة من الناس دون غيرها، نظراً لامتلاكها إمكانات معينة تحدد درجة ذكائهم، متجاهلين احتمال وجود إمكانات أخرى في مجالات مختلفة، قد لا تقل أهمية عن مجال الدراسة الأكاديمية. وإذا كنا جادين فعلاً في محاولتنا تطوير واستغلال مصادر الطاقة البشرية، فعلينا أن ندرك حقيقة تنوع وتعدد أشكال هذه الطاقة، وهذا هو الطريق الذي يجب أن نسلكه كي نفجر هذه الطاقات الإبداعية الكامنة".

وهذا متوافق مع الإحصائية السابقة التي تقول: إن ٨٠٪ من خريجي الجامعات الأميركيين يعملون في مجالات غير مجالات تخصصاتهم، فهؤلاء الـ٨٠٪ اكتشفوا بعد سنوات من تخرجهم (تصل إلى عشر سنوات) أن مجال دراستهم ليس المجال الحقيقي الذي خُلقوا ليبدعوا فيه، وعرفوا أيضاً أنه إذا كان هناك ثمة نجاح لهم في هذه الحياة، فهو ليس بالتأكيد في المكان الذين يعملون فيه، بل في المكان الذين يحبون - فعلاً- أن يعملوا فيه.

وفي هذا العالم العديد من الشخصيات المبدعة والعظيمة التي ابتعد أصحابها عن مجالات تخصصاتهم إلى مجالات لا علاقة لتخصصاتهم بها، وهم أكثر من أن يتم حصرهم هنا، إلا أنني سأذكر بعضاً منهم: مع الأخذ بالاعتبار عدم ذكر الأشخاص الواردة سيرهم في هذا الكتاب.

- مارجريت تاتشر - أول رئيسة وزراء في تاريخ بريطانيا وأحد أشهر السياسيين البريطانيين عبر التاريخ - كانت صيدلية.

- الأديب الكبير آرثر كونان دويل - مبتكر شخصية المحقق "شارلوك هولمز"- كان طبيباً.

- مهاتير محمد، رئيس وزراء ماليزيا السابق الذي له فضل عظيم في إخراج ماليزيا من ظلام العالم الثالث إلى ركب النمور الآسيوية، لم يكن متخصصاً في السياسة ولا في الاقتصاد ولا في الإدارة، بل كان طبيباً.

- والشيخ د. طارق السويدان الكاتب والإداري والداعية المشهور، عرفناه بكونه داعية وإدارياً وكاتباً ومؤرخاً ومفكراً ولم نعرفه بكونه مهندس نفط كما هو أساساً.

- وكذلك المهندس الميكانيكي لي أيكوكا الذي كان يتقاضى أضخم راتب في أميركا، لا لكونه مهندساً ميكانيكياً بل لكونه نابغة في مجال التسويق.

حسناً... لماذا يدخل هؤلاء تخصصات غير تخصصاتهم؟ ولماذا يضيعون سنين من عمرهم في دراسة علوم يقررون في النهاية عدم الاستفادة المباشرة منها؟

إن المشكلة عند هؤلاء تكمن في أنهم وضعوا عقولهم رهناً لإشارة مجتمعاتهم لا رهناً لحاجتهم هم، ولا فيما يعتقدون أنهم سيبدعون فيه، لذلك سلكوا الطريق الذي رسمه المجتمع غير عابئين في مدى توافقهم معه. فالملاحظ عند من ذكرت أسماءهم -على سبيل المثال- أن تخصصاتهم تعتبر "قوية" فـ"تاتشر" كانت صيدلانية، ودويل ومهاتير محمد كانا طبيبين، والسويدان وأيكوكا كانا مهندسين، ويبدو أن ما حصل مع هؤلاء هو ما نمارسه مع أبنائنا، فعندما نريد أن نُشيد بطفل نناديه " يا دكتور" أو "يا مهندس" وذلك تبعاً لتفوقه الدراسي، فإذا حصل الطفل على معدلات عالية بدأنا بزرع هذه القيم الخاطئة فيه، فيتولد عنده شعور بأن النجاح هو طب وهندسة وأن الفشل ما سواهما. وهذا يتعدى الأسرة إلى المجتمع والمؤسسات التعليمية التي تسارع في تكريم المتفوقين دراسياً والذي يطلق عليهم خطأً وبحسن نية: "الموهوبين"، بينما يتم تهميش باقي الطلاب على اعتبار أنهم غير موهوبين. وأعتبر تسمية المتفوقين دراسياً بالموهوبين خطأً؛ لأن التفوق الدراسي - بمعناه الحالي- هو تفوقٌ بالحفظ وقوة الذاكرة لا تفوقٌ بملَكات العقل وإبداعاته، فكمٌّ كبير من العظماء لديهم ماضٍ دراسي يشوبه الفشل، فألبرت

اينشتاين (صاحب النظرية النسبية) كان يأتي دائماً متأخراً في العلوم والرياضيات ويذكر أنه رسب في مادة الرياضيات ثلاث سنوات، واعتبره المدرسين بطيء التعلم، وتشالز داروين كان يهرب من المدرسة ليتسلق الأشجار ويراقب قوافل النمل، أما لويس باستير (مكتشف الجراثيم وطريقة البسترة) فكان كثير السرحان لدرجة صنف معها كمريض بالذهان، وتوماس أديسون (مخترع المصباح وأعظم المخترعين في التاريخ) اعتبر غير قابل للتعلّم، ويذكر أن إسحاق نيوتن طُرد من المدرسة فلجأ حزيناً تحت الشجرة التي سقطت منها التفاحة الشهيرة التي كان تساؤل نيوتن حول سقوطها إيذاناً ببدء فصل جديد من فصول تقدم الحضارة البشرية.

ولا يتوقف تدخل المجتمع في خيارات أفراده وهم أطفال، بل يتعداه إلى مرحلة الشباب، فعندما يتخرج الشباب من الثانوية العامة بنسب مرتفعة يسارع المجتمع بدفعهم للتقديم للكليات الطبية والهندسية دون مراعاة شعورهم الداخلي الذي لم تؤثر فيه رغبات المجتمع وآراؤه. فنجد المئات ممن يدخلون كليات "قوية" كالطب والهندسة والحاسب يعانون من تصارع نفسي بين رغباتهم ورغبات مجتمعاتهم، بينما تمتلئ الكليات الأخرى بألوف الطلاب ممن تنازعهم أنفسهم للدخول لكليات الطب والهندسة، إلا أن حكم النسبة الثانوية و"الواسطة" كان يقضي بأن هؤلاء ليسوا مؤهلين لدخول تلك الكليات. بينما إذا عدنا للواقع الحقيقي غير المزيف لوجدنا أن (ياما في السجن مظاليم) وأن الكليات التي تقبل نسباً متدنية تزخر بطلاب هم أحق من غيرهم بدخول تلك الكليات "القوية".

وهذا لا يعني - بالتأكيد- خلو كليات الطب والهندسة والحاسب وغيرها من الكليات التي لا تقبل إلا نسباً عالية ممن هم أهل لها، وهذا واقع مشاهد ومطلوب، ولكن المشكلة تكمن في أن هؤلاء وحدهم من يقدم إبداعات تتجاوز مسمى وظائفهم، بينما يضل الآخرون يبرحون أماكنهم دون إبداعات تذكر.

الإبداع...الإبداع...الإبداع! لماذا كل هذه الضجة حوله؟ ولماذا كثرة التكرار حول أهميته؟ وهل هو أهم من التفوق الدراسي؟ وما المردود المادي له؟ وهل هو كفيل بحل مشاكل البطالة والتخلف الدراسي والاقتصادي والمعرفي في وطننا العربي؟

بالنسبة للسؤال الأخير أعتقد أن الإجابة هي: نعم!

ولتوضيح الفكرة لنأخذ -على سبيل المثال- بيل غيتس، ففكرة بيل غيتس الإبداعية وهي ابتكاره لنظام "ويندوز" جعلت منه أثرى أثرياء العالم بثروة بلغت على أعلى مستوياتها ١٠٠ مليار دولار، وبفكرته تلك استطاع غيتس أن يوجد وظائف لـ ٦٣,٥٦٤ شخصاً هم عدد العاملين لدى شركته، بينما لم تستطع دول بشعوبها أن تضاهيه رغم توفر نظم تعليم تقليدية لديها، ومن بين هذه الدول دول عربية عدة.

وكذلك الحال مع انغفار كامبراد صاحب متاجر أيكيا، فقد أوجد وظائف لـ٨٤٠٠٠ شخص. وكذلك الحال بالنسبة لديل وإيريكسون وهوندا والراجحي وساندرز وكروك فقد أوجد هؤلاء الستة- بستة أفكار إبداعية فقط- وظائف لأكثر من مليون ونصف المليون شخص هم عدد العاملين في شركاتهم، وهو ما يساوي عدد الأيدي العاملة في عدة دول صغيرة. (جميع رجال الأعمال في هذه الفقرة ضمن شخصيات هذا الكتاب).

وهذا الواقع مشاهد في دول العالم المتقدم، فقد ارتفع عدد العاملين في المجالات الإبداعية في بريطانيا بنسبة ٣٤٪ خلال عقد من الزمن، في الوقت الذي لم يشهد فيه الاقتصاد نمواً يذكر، والوضع نفسه نجده في الاقتصاد الأميركي، الذي تعتبر القطاعات التي تضم المبدعين فكرياً، وأصحاب الأفكار الجديدة والخلاقة، من أهم مقوماته.

وحسب تقديرات جمعية الملكية الفكرية في واشنطن (Intellectual Property Association) فإن القيمة الفعلية لهذه الفئة من العاملين (أو لهذا القطاع) تبلغ حالياً ٣٦٠ مليار دولار سنوياً، وبذلك تفوق قيمتها ما للمجالات الأخرى كصناعة السيارات، ومجالات الزراعة والطيران.

وتنمو هذه القطاعات بمعدل ضعف نمو الاقتصاد ككل، وهي تخلق وظائف جديدة أكثر بثلاث مرات من عدد الوظائف الموجودة حالياً. وتزداد أهمية هذه القطاعات الفكرية في الشركات والمؤسسات لتصبح أكثر تميزاً. خاصة عندما تتنوع مجالات الإبداع فيها.

وتستقطب هذه الصناعات التي تعتمد على الفكر الإبداعي مختلف أنواع المهارات والاختصاصات، ومثال ذلك:

لو اخترع شخص اختراعاً، فهو بحاجة إلى مصنع لإنتاجه بشكل تجاري، وسيحتاج المصنع لإنتاجه إلى عاملين من تخصصات مختلفة كالمهندسين والميكانيكيين والكهربائيين ورجال الصيانة والإدارة والأمن الصناعي والاستشاريين والمطورين، ولكي يسوقه المصنع فهو بحاجة لمسوقين أو لشركة تسويق ودعاية وإعلان، وبالتالي يكون بحاجة إلى مطبوعات وتصوير دعائي ومشاركة في معارض تصنيع أو إنشاء معرض جديد أو إضافة المنتج إلى منشآت عرض قائمة أصلاً... وتطول القائمة.

فكم من وظيفة سيوجدها هذا الاختراع؟ وكم من عائلة ستستفيد من عوائده المادية؟ وكم من مشروع سيساهم هذا الاختراع في إنجازه؟ أو ربما سيكون الاختراع وحده كافياً لإنشاء مشاريع خاصة به.

(هذا مع الأخذ بالاعتبار أن هذا المثال يقع في ظلّ نظام تعليمي يشجع الإبداع كالذي ندعو إليه هنا).

أعتقد أنه بعد هذا العرض السريع تكونت لدى القارئ الكريم صورة واضحة حول أهمية الإبداع وضرورة تغيير نظام التعليم التلقيني المحارب له، فالتجارب أثبتت فشله، وإن نجح فإن نجاحه جزئي، أو مؤقت، وذلك تبعاً للحكمة القائلة: "تستطيع أن تكذب على بعض الناس كل الوقت، وتستطيع أن تكذب على كل الناس بعض الوقت، ولكنك لا تستطيع أن تكذب على كل الناس كل الوقت".

لذلك تعالت نداءات المؤيدين على حكم الإعدام للمدارس التلقينية، وهم في تزايد مستمر في الغرب والشرق؛ إذ أثمرت دعواتهم بظهور مدارس وجامعات تعتمد على تطوير القدرات الإبداعية التي يتميز بها كل طالب عن غيره من الطلاب دون خضوعه لمنهج صارم يعيقه عن إطلاق قدراته الإبداعية. ومن هذه الجامعات جامعة ستراثكلايد التي قدمت تجربة "المركز التعليمي" والذي يمكن أن يلتحق به الطالب الجامعي متى شاء بدلاً من تقديم برامج في المهارات الدراسية التلقينية. وكذلك جامعة بيتسبرج التي قدمت تجربة "التعلم الذاتي" وهي تجربة تقوم على المجموعات الصغيرة، بحيث يشرف الأستاذ المرشد على برنامج دراسي معين يدرسه مع طلابه، بحيث يلعب الأستاذ المرشد دور قائد المجموعة التي تعتبر كفريق يساند بعضه بعضاً في عملية التعلم. وقد طبقت بعض الدول برامج دراسية هدفها اكتشاف مواهب الطلاب في المدارس وتطويرها واستغلالها أفضل استغلال، بل إن فنزويلا أنشأت "وزارة الذكاء" لهذا الهدف، كما طبقت هذه البرامج مدارس النخبة الموهوبة والمدارس العامة في جنوب إفريقيا.

وقد تعتبر نماذج كهذه صعبة التطبيق ومكلفة مادياً، إلا أن إيماننا بالحقيقة وهي أن عدم تطبيقها أكثر كلفة على المدى الطويل يجعلنا نسارع في تطبيقها بشكل جدّي في مدارسنا وجامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية، خصوصاً إذا علمنا أن

تجارب كهذه طبقت بشكل ناجح في أميركا وأوروبا واليابان وسنغافورة وماليزيا وغيرها من البلدان ذات الخطى السريعة نحو التقدم.

أما في عالمنا العربي فلا نجد دعوات جادة في هذا الموضوع، بل إن السواد الأعظم من المسؤولين عن التعليم يصطفون مع الرأي المعارض لإزالة المدارس التلقينية، الأمر الذي يعزز نزعة العرب المتأصلة في عدم الخوض في بحار الإبداع إلا مع أواخر الأمم.

* * *